الأنساق الثقافية في شعر موسى حوامدة★

أ.م.د. جاسم محمد عباس

جامعة الأنبار-كلية الآداب- قسم اللغة العربية

Jasim88@uoanbar.edu.iq

المقدمة

إن الخطاب الأدبي في منظور النقد الثقافي ، ليس مجرد دال لغوي قائم على عناصر جمالية ومدلولات فنية مختلفة كما نراه في أغلب اتجاهات النقد؛ بل أصبح يشكل مفهوماً ثقافياً ذا معطى فكري يحمل في طياته خلفيات تاريخية قادرة على فهم الأنساق المضمرة والبنى القارة في النص؛ لأن" النص الأدبي جزءٌ من سياق تاريخي يتفاعل مع مكونات الثقافة الأخرى من مؤسسات ومعتقدات وتوازنات قوى وما إلى ذلك "[١]، وعلى هذا فإن القراءة الثقافية للأنساق المضمرة تمثل منهجاً جديداً في مسار النقد الحديث ترتهن في تحصلها على إمكانات النص القرائي للمضمرات النسقية المتوارية خلف ستار الاستاطيقي (الجمالي) وتشكلاته الممكنة، فهي قراءة كما يقول ستيفن غرينبلات تهتم بشكل خاص (بالظروف الطارئة) والذوات النمطية والتمثيل على وفق الأحكام المنتجة وصراعات الثقافة المفترضة .إن محاولة وضع مفهوم محدد للنسق يبدو من الصعوبة بمكان، فلكون هذا المصطلح عاماً ويستخدم في كل مجالات المعرفة الحياتية تعدد وجهات النظر إليه كلٌ حسب تخصصه ومجاله المعرفي، فلهذا يبدو أن البحث عن مفهوم لغة يقرب الصورة أكثر.

النسق لغةً:

نَسَقَ ينُسق نَسْقاً، فهو ناسق من المفعول (مَنسوق)، ومن التنسيق بمعنى التنظيم النسق من كل شيء: هو ما كان الشيء على نظام واحد، عام في الاشياء[٢]،ويتفق أغلب اللغويين على أن النسق يعني النظام فابن سيده يقول: نسق الشيء ينسقه نسقاً، ونسّقهُ: نظمه على السواء وانتسقت الأشياء بعضها إلى بعض، أي تنسّقت[٣]، لهذا يبدو أن المعجميين متفقون على أن النسق هو النظام الذي تتنسق فيه الأشياء.

اصطلاحاً:

عُرفَ النسق في المعاجم الحديثة والدراسات النقدية التي عُنيت بهذا المصطلح على أنه مجموعة من العلامات اللسانية والثقافية المختلفة، أو مجموعة من العناصر والبنيات التي تتفاعل فيما بينها، على وفق مجموعة من المبادئ والمعايير والقواعد[٤]، وكان كلود ليفي شتراوس قد وظف مصطلح النسق في ضمن الحقل الثقافي في أثناء دراسته للانثربولوجيا البنيوية بسبب أن أنظمة اللغة والبيئة ذات طبيعة ثقافية واحدة[٥]، وهذا يعني أن كل وحدة ثقافية أو حياتية هي عبارة عن نسق ينظم تلك الوحدات، وهو كما يعرفه الغذامي تورية ثقافية تشكل المضمر الجمعي[٦]، وهذا المضمر الجمعي هو نتاج تلاقح فكري وثقافي واجتماعي له الغلبة في فرض نفسه كنسق حياتي يؤثر في الجميع.والنسق الثقافي المضمر يكون حينما يتعارض نسقان أحدهما ظاهر والآخر مضمر حينما يكون المضمر نافياً ومناقضاً للأول، وله محددات أن يكون جمالياً وذا طبيعة اجتماعية جماهيرية[٧]، وهي " دلالة مضمرة، فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من المؤلف، ولكنها مثبتة ومنغرسة في الخطاب، ومؤلفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير ، والنساء مع الرجال والمهمش مع المسود"[٨]، وهذا يعني هي فاعل رئيس في توجيه تصرفاتنا شئنا أم أبينا تفرض علينا حضورها في كل خطاباتنا الحياتية، وتفرض علينا ارادتها وتظهر للعلن بصورة تصرفات وتوجهات تجسد لنا ثقافتنا وما نخفيه من قيم وتوجهات. والشاعر موسى حوامدة من الشعراء المحدثين الذين تضمنت خطاباتهم الشعرية أنساقاً مضمرة، فقد قام نصه الشعري على فهم واضح وجلي لكل تلك المفاهيم التي تفرض بثقلها على المجتمع .

المبحث الأول: أنساق الكينونة والوجود:

يقوم هذا المبحث على تتبع القضايا ذات الاهتمام المبني على فعل الكينونة والوجود الذي عبر عنه أحد النقاد بقوله: " هي مثل الحياة والموت ، والزمن والحب، والمقدس والعنف، وهي الذرى التي تتداخل فيما بينها، وتحيلنا كلها إلى مسألة الكينونة والوجود"[٩]، وفي ضوء هذا فإن كل القضايا التي لها ارتباط ديني وفكري واجتماعي ترتبط بهذا المستوى الذي يحيل على فهم دقيق لتجارب حياتية ودينية شكلت كينونة الإنسان منذ الخليقة إلى عصرنا هذا.يقسم هذا المبحث على ثلاثة فروع سنتناول في الفرع الأول الديني وفي الثاني التاريخي وفي الثالث الاسطوري.

أولاً: النسق الديني:

يعد الدين من أهم ركائز التي تشكل شخصية الإنسان في المجتمع وتفرض وجودها عليه، وهي سمة يتحلى بها بني البشر كلاً حسب معتقده، وهو نسق يجمع مختلف صنوف العبادات، وتوظيف النسق الديني لا يقوم على تقديم أنموذج مماثل أو مشابه لما هو مقدس؛ وإنما لتقديم تصور حضاري مرتبط بسياق فكري معين، فهي ثقافة واعتقاد تؤمن بها أمة وتقدسه ذات قيم ومعتقدات دينية خاصة، وتشكل تلك الأنساق الدينية مجموعة معطيات وطقوس ومناسك وتجليات للفكرة الدينية[١٠]، فالدين يفرض حضوره في العقل الجمعي العربي ولم يكن شيئاً طارئاً أو هامشياً؛ بل هو قوة لها حضور بالفعل يوازي وجود الإنسان في هذه الحياة، ويرتبط الدين بالبنية الثقافية والنفسية والاجتماعية[١١]، وهذا النسق يأخذ أشكالاً متنوعة في شعر موسى حوامدة، فالدلالات النصية التي يوظفها الشاعر تتضمن دلالة جديدة يجسد فيها الشاعر رؤيته

تجاه الكون والحياة، فهو يعيد تشكيل بناء تجربته الشعرية لتكوّن تمازجاً ما بين التراث بعبقه الخالد والمعاصرة من خلال إعادة تشكيل النص التراثي على وفق رؤيته الخاصة التي تمنح النص رؤية جديدة، من ذلك قوله:[١٢]

هبيني أكلت التفاحة
وأوهمت زوجكِ بالإيمانْ
هل سيغضب السلطان
ويأمر بقطع جميع أشجار التفاحِ
أم سيأخذكِ مني
لأظل وزوجكِ صنوي خسارة!!

في هذا النص يبدو لنا نسق الغواية ممثلاً بأكل التفاحة والخروج من الجنة ونزولهما إلى الأرض، فأصبحت نسقاً للخراب والمعصية والموت بعد أن كانت رمزاً للحياة[١٣] حين أغوت حواء آدم " ليدخلا آدم ومن بعده (بنوه) في صراع دائم بين قطبين أزليين هما الخطيئة والتكفير، والخطيئة طريق المنفى، والتكفير طريق العودة إلى الفردوس"[١٤]، وهنا أصبحت مرتبطة بالخطيئة والخداع، تحمل دلالات النص إشارة ثقافية كونها بنية قارة في الفكر الإنساني والديني، ففي الثقافة الدينية الإسلامية والمسيحية تشكل نسقاً ثقافياً شديد الصلة بتراث تلك الأديان، والشاعر يستلهم قصة هذا النسق الديني ويحول دلالاتها بشاعرية فذة ويفرغها من روحها الديني ليجعلها تحاكي واقع يومي يعيشه ويجسد كل ما فيه من ذاتية، نص الشاعر هنا يجسد طريقة مغايرة لما هو في نسق الذاكرة الجمعي، فهو في هذا النص من يغوي الأنثى التي تشكل كما في الذاكرة الجمعية للمجتمع رمز الغواية، والنص هنا يطرح إشكالية معاصرة تجسد مظهر النفاق الذي يتقنع به الكثيرون إذ يظهر خلاف ما يخفي؛ كي يصل إلى مبتغاه بكل خداع، ولعل الدال اللغوي (وأوهمت زوجك بالإيمان) هي بؤرة الحدث الذي يتعاضد مع النسق الديني متمثلاً بالتفاحة رمز الغواية، ولعل قوله:(ويأمر بقطع جميع أشجار التفاح، و لأظل وزوجكِ صنوي خسارة) هي أيضاً تمثل نسقاً ثقافياً جمعياً يجسد الصراع بين الغواية والشر، الذي لا يزول مع تقادم الأيام، وهذا ما عبر عنه الشاعر برؤية معاصرة جسدت تطلعات ذاتية تقوم على بناء معادل موضوعي تراثي ينطلق من رؤية معاصرة بكل ما فيها من خصوصية. يستثمر الشاعر قصة خروج آدم من الجنة وهبوطه على الأرض، وأكله التفاحة كما وردت في بعض الكتب السماوية المسيحية وبعض المصادر الإسلامية مع بعض من تفصيل والإيجاز في كلا الكتابين الدينين حول القصة، يحاول الشاعر تضمين إشارات هذه القصة بطريقة معاصرة، يقول في قصيدة (ذاهباً باتجاه البحر)[١٥]:

لم أقتربْ من الإغواء
لم أذقْ طعمَ الفاكهة ولم تمسَّ حواسي الزقوم
طويتُ كشحاً من شدة الجوع
لكنني وجدت صفاً طويلاً للوداع:
]اهبط
إلى هناك[
لم أقترب من ثمر البساتين ؛ قلت
لم تلمسْ يداي شجر الجنة
لم أذق طعم العصيان
بقيتُ محبوساً في جوعي
وضلوعي تشهد
سحنتي تشهد
أمعائي تشهد
ردَّت النسوة:
من أكل تفاحنا إذن أيها الغريب ؟؟

في إشارة واضحة لتفاصيل قصة آدم(عليه السلام) وخروجه من الجنة، والشاعر هنا يستثمر النسق الديني في فرض رؤية معاصرة، فإذا كانت حواء كما وردت القصة في التراث المسيحي هي من أغوت آدم، فإن نص الشاعر يجسد حالة شخصية مرّ بها الشاعر، فكل ما يلصق به من تهم وافتراءات هي محض خيال، فثقافة التفاحة يعبر عنها الشاعر عن معاناة لا تنفك ترافقه في حلّه وترحاله، فالقضية التي يريد طرحها الشاعر معاناة مغلفة بكذب وافتراء، فيستثمر نسقاً دينياً له ارتباطات ترافق بني البشر منذ الخليقة، وكل أصابع البشر توجه التهم إلى من آكل التفاحة، فهو سبب معاناة البشر، كذلك حال الشاعر حين يربط قضيته بنسق ديني قار في الذاكرة الإنسانية، وعلى الرغم من ذلك تتقلب الموازين وتتبدل القيم والمواقف، فالشاعر هنا من يتهم ويجسد بقوله: (لم أذق طعم التفاحة ولم تمس حواسي الزقوم، ولم تلمس يدي ثمر الجنة)،

فهو من خلال توظيف محتوى هذا النسق الديني، فهو يريد أن يصور عمق الصراع بين الذات والآخر، لما يحمله مثل هذا النسق الثقافي من مردودات نفسية مشتركة تمكن الشاعر من تفريغ مشاعره وإثارة قارئه؛" لأن النص الديني في مجمله بنية أساسية في ثقافة القارئ العربي، ومن ثم يستطيع الشاعر من خلال التناص الديني أن يقدم رسالته بصورة أفضل، لأنه ينطلق من قاعدة مشتركة بينه وبين القارئ"[١٦]، فمن خلال استنطاق محتوى القصة الدينية يجسد الشاعر معاناته في هذا الزمن الذي تبدلت فيه القيم وأصبح الباطل هو الذي يدير الأمور وأبعد أصحاب المواقف الطيبة، فوقع الظلم وتلاشى أهل الحق، فلا بد في ضوء هذا أن يشعر القارئ بالخيبة ويتعاطف مع الشاعر، مما يفتح الباب واسعاً لقصدية الخطاب المنضوي تحت سياق ثقافي قار يعمل على منح النص فاعلية وحيوية قادرة على منح الخلود لنصوص هكذا.

إذ يقول في قصيدة (سلالتي الريح ...عنواني المطر:[١٧].

قَبْلَ أَنْ تَرتطمَ الفكرةُ بالأرضِ

قَبْلَ أن تفوح رائحة الطين

تجولتُ في سوق الوشاياتْ

أحمل ضياعي

أقتل نفسي

أنا هابيل وقابيل

آدم أنا وحواء

نسل الخطيئة

وزواج السوسن من بيت الطيوب.

يعمد الشاعر في هذا النص إلى توظيف بنية ثقافية تشير إلى قصة دينية ذات محتوى نسقي مرتبط بالخيانة والطمع والخطيئة التي لا تغتفر، فهو لايصرح بمن قتل من أولاد آدم هل هو هابيل أو قابيل، فضلاً عن ذلك من أغرى على فعل الخطيئة آدم أم حواء؟ الشاعر يبقي ذلك مضمراً في نسقه، فهو يجمع كل الأفعال المرتبطة بالقتل والخطيئة غير مصرح بها، فالواقع المعيش الذي يحيا في ظله الشاعر يحمل الكثير من التناقضات والمتغيرات التي تلاشت معها كل القيم، فالشاعر مبعد عن وطنه يعيش غربة روحية وفكرية وكل شيء أمامه قد تغير وتبدل، إذ تتضخم حيرة الشاعر حول الكينونة والأصل والهوية فيذهب فيها بعيداً موحياً بأفكار عديدة تخرق المألوف وتخلق الحيرة والدهشة فهماً لطبيعة الإنسان وبحثاً عن مكانه وانتمائه[١٨]، فهو يريد أن يبين من خلال هذا النسق الثقافي المضمر في الذاكرة الإنسانية أن الخطيئة واحدة مهما كانت وبأي شكل فهي ترتد لأول الخليقة لتكون طريقاً يسير عليه الأبناء، فحالة التناص الواقعي المحملة بالرمز تكشف عن زوايا مسكوت عنها في ذاكرة الشاعر، فالضياع والقتل الذي عاشه بعد أن تغرب عن بلده فلسطين جعلته ينظر إلى كل شيء مقدس في الذاكرة الجمعية هو حالة يعيشها الشاعر بكل تفاصيلها، فلا قدسية لأي فعل مادامت الخطيئة الأولى تسري في دماء البشرية، فنسق الغواية والخطيئة هو نسق يفرض حضوره بكل زمان ومكان. وبفعل الثقافة الدينية المتوارثة التي شكلها القرآن الكريم نسقها الضارب في ذاكرة الناس، تبرز لنا قصة يوسف كما أوردها القرآن، وهي تشكل نسق الخيانة بفعل أخوة يوسف (عليه السلام) الذين غدروا به، ثم تفرض حياته التالية في قصر الفرعون تحدياً للطهر والعفة، ليخرج بعدها مثالاً للقيم والأخلاق، يقول[١٩]:

لم يسقط (يوسف) في الجُبْ

لم يأكله الذئبُ

ولم تنقصْ من خزنة مصر الغلّة

لم تكذبْ

تلك الملكة

وزليخة لم تر يوسفَ أصلاً

من يوسف هذا؟

ولدٌ مطرود يعمل خبازاً أو ناطوراً

يتخيل أن تصدفه الملكة

يتوهم أن تعشقه الملكة

ويغالي في السرد فيوهم إخوانه

أن المصريات يضاجعن الإسرائيليين

ينطلق الشاعر في هذه القصيدة من أساس ديني معتمداً على النص القرآني مثل قوله تعالى ((**قَالُواْ يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**))[٢٠]، والكثير من الآيات الأخرى، ولكن القارئ يصاب بالدهشة وكسر أفق توقعه الذي تشكل بفعل النسق الديني المتوارث، فالناظر إلى القصيدة يرى أن الشاعر ينفي كل ما جاء في القرآن الكريم من أحداث تخص قصة يوسف، فهنا يتعارض النسق الديني مع ما عرضه الشاعر من تفاصيل، والشاعر كما ذكرنا ينطلق من أساس ديني، ولكنه يؤولها بسياق شعري مختلف في الظاهر عن سياقها القرآني، فنص القصيدة المعروض أمامنا يقوم على طرح فكرة في القصيدة وهي فكرة مضادة للنص القرآني، يستلهم الشاعر فكرتها الضدية من واقع سياسي معاصر ومن نقله مستلهماً القصة القرآنية ولكن بصورة متناقضة، فيوسف هنا ليس يوسف النبي إنما هو رمز لليهودي المعاصر المخادع وزليخة هي أصبحت عنده رمزاً للواقع المصري الذي تمثله زليخة بكل دهاء، " إن يوسف الشعري الذي تقدمه القصيدة، يوسف آخر معاصر، لم يسقط في الجب، ولم يأكله الذئب، ولم تعشقه زليخة، بل لم تره زليخة أصلاً،... إنه ولد مطرود يعمل خبازاً أو ناطوراً، يتخيل أن تصدقه الملكة، ويتوهم أن تعشقه الملكة"[٢١]، فمثل هذه النصوص التي توظف مخالفة للنص القرآني هي مصدر إشكالية واضحة للقارئ؛ لأن القراء ليسوا دائماً على مستوى عال من التأويل، لأن القصد يبقى مخفياً، ومرتبطاً بذكاء القارئ على التأويل. ومحاولة من الشاعر في تجسيد فكرة التماهي التي عبر عنها الفكر الديني وما تضمنته آيات قرآنية مثلت مرجعاً ثقافياً ضارباً متنوع الدلالات والقيم، من خلال فكرة النسق الديني الذي يمثل الجبروت والتكبر ولا سيما في استلهام الشعراء لقصة نبي الله موسى(عليه السلام)، وإعادة إنتاج نصوص ذات دلالات تلائم الواقع المعاصر، من ذلك قوله:[٢٢]

أعطاني سحر الكلمات

وكلَّمني تكليماً

يا الله

هل يلقي عبدك موسى

في الناس نبوته وعصاه

بيضاء يدي

والطور طيور

سأشق البحر

وأرفع عن أرض الكنعانيين الجور

هارون أخي

والشعر شقيقي الأوفى

ولساني لا بد يدور

إني للرب الأقرب منذور

مذ ألقتني أمي في اليمِّ

ومنذ منحتني زوجة فرعون النور

نور... نور

ماء... نور

الأصل الديني لهذه القصة يسمح لها أن تكون معادلاً موضوعياً للحياة المعاصرة تحاكي الكثير من تجارب هذه الحياة لتجسد قضايا إنسانية ذات بعد ديني قار في الذاكرة الإنسانية" محققة بذلك اتصالاً وجدانياً بالمتلقي العربي، ومستثمرة ما للرمز الديني من حضور عميق وفاعل في ذاكرته، ويوجه عملية استقباله للنصوص الشعرية التي استلهمت القصة القرآنية... محققةً بذلك اتصالاً وجدانياً بالمتلقي العربي"[23]، فبنية العنوان في هذه القصيدة (مآرب أخرى) تتضمن نسقاً يتوافق بصيغته اللغوية مع النص القرآني، ولكنه يتعارض معه في مفهوم تلك

المآرب التي حملت دلالات شخصية من خلال اسقاطات شعرية ذات طبيعة دلالية على نفسه، فهنا يتوحد الشاعر مع رمز النبي موسى (عليه السلام)، فهو يقاوم روح الطغيان والجبروت متخذاً من التوظيف القرآني مصدراً للرؤية، فهو لا يريد أن ينتقد من دون فعل، فهو يريد أن ينشأ عالمه الخاص منطلقاً من تصور ديني، فالتماثل الحاصل بين الماضي المفعم بالقوة وبين الحاضر المملوء بالظلم تنسل رؤية الشاعر لتعبر عن رؤية خلاقة للمستقبل، بما يمنحه النسق المقدس من خصب فني معجز قادر على صوغ تجارب معاصرة فاعلة، فالشاعر يتماهى مع هذه الشخصية الدينية برؤية معاصرة" فهذا الدمج بين بين صورة الشاعر وصورة النبي(عليه السلام) يتكيء على معطى تاريخي وواقعي يؤكد ملامح التقاء بين رسالة الفن والجمال الحقيقي، وبين رسالة النبوات والخلاص الإنساني بمعناه الأجمل"[٢٤]، وقد أعطت المتتاليات النصية مثل قوله: (أعطاني، و كلمني، وسأشق، و مذ ألقتني...) زخماً روحياً ودلالياً شحنت النص بطاقة انفعالية تجسد ذلك التماهي الذي أشرنا إليه.

تقوم فكرة الأنساق الثقافية على فكرة انساق مضمونية داخل الخطاب تتداخل مع أنساق ظاهرة، ومن أجل كشف تلك الأنساق فإنها تحتاج إلى قراءة متأنية للوصول إلى القصدية التي يريدها المبدع، والأنساق الدينية ذات حساسية في التوظيف على المبدع أن يعرف كيف يتعامل مع النص الديني وإلا وقع في المحذور دون أن يعي. يتخذ الشاعر من قصة أصحاب الكهف التي ورد ذكرها في القرآن الكريم منطلقاً للصدق في الانتماء، فنلحظ تأثيرها الثقافي في مختلف الأجيال بما تملكه من هيمنة على الذاكرة الجمعية الدينية، يقول حوامدة[٢٥]:

كنا رفيقين حممين

فلا تغدر بي الآن

دعني يا قفاز يدي

دعني شاهداً على صحو أهل الكهف

كي أعرّفهم نوع العملة في مستقبل الأيام

يمثل الخطاب في هذا النص حالة لصدق الولاء والبقاء على الموقف مهما اشتدت الظروف وتعاقبت الأيام، ومعلوم أن أصحاب الكهف الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم منه قوله تعالى((**كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**))[٢٦]، فالعلاقة الترابطية لتوظيف أهل الكهف هو كونهم رمزاً للوفاء والبقاء على الموقف الصادق على الرغم من التعذيب والقهر الذي مورس بحقهم آنذاك، والشاعر يتخذ من الإشارة الثقافية التي تحملها قصتهم دليلاً على صدق الموقف، فالسياق الثقافي الذي ترد فيه القصة أصبح يمثل نسقاً جمعياً في الذاكرة الدينية على مر العصور، والشاعر المعاصر حين يوظف مثل هذا الرمز هو يريد أن يوصل رسالة مشفرة تحمل الكثير من القصدية من خلال التركيز على اللغة ذات الحمولات الدلالية العالية وبما أن الشاعر" صيغة نسقية، تنم عن ثقافة واعية في توظيف اللغة الجمالية، فهو يمتلك القدرة على تمرير أفكاره، من خلال الحيلة التي مارسها بتمرير هذا النسق"[٢٧]، ويكشف سياق النسق الشعري عن إشارة إلى قضية العملة التي كان يحملها أصحاب الكهف، فالشاعر يشير إليها بقوله:(كي أعرّفهم نوع العملة في المستقبل)، فحين أراد أصحاب الكهف أرسال أحدهم لجلب الطعام عرفوهم من خلال اختلاف عملتهم التي مضى عليها مئات السنين، فالشاعر هنا يوظفها في سياق صدق المواقف وكشف الحقائق.معلوم أن الشاعر ليس كائنا منطوياً على نفسه؛ بل هو يعبر عما يدور في خلده وخلد الآخرين، فهو حين يوظف الكثير من الأنساق ذات البعد الثقافي، فهو يعبر عن تجربة إنسانية عامة يشترك فيها جمهور القراء والناس جميعاً؛ لأنه كائن يبوح بما يشعر به.

ثانياً: النسق التاريخي و مرجعياته الثقافية:

عُني الشعراء المعاصرون بتوظيف الرمز التاريخي بتجلياته المختلفة برؤية حداثية توجه النص نحو قضايا معاصرة تشكل واقع الشاعر المأزوم، فيمنح نصه رؤية جديدة، ويكون هذا النسق الثقافي التاريخي جزءاً من تكوينه الخاص، وأداة فاعلة في من أدوات تشكيل القصيدة المعاصرة، وكل ذلك يكون على وفق هضم فاعل لمعطيات التاريخ، ومهمة الشاعر إعادة إحياء هذا التراث التاريخي فهو" ليس حركة جامدة، ولكنه حياة متجددة، والماضي لا يحيا إلا في الحاضر، وكل قصيدة لا تستطيع أن تمد عمرها إلى المستقبل لا تستحق أن تكون تراثاً"[٢٨]، وفي ضوء تلك المعطيات فالشاعر المعاصر طفق يستلهم كل مفردات التراث التاريخي لبناء تجربة الشعرية على أسس فاعلة، تبعث الحياة في شعره، فالرجوع إلى التاريخ واستلهامه هو عملية بناء جسر بين المبدع وقارئه، فالسياق الثقافي المترسخ في وجدان القارئ يعطيه مساحة أكبر للتأويل وبناء فهمه للنصوص" ذلك أن تجربة الشاعر المعاصر محاولة جاهدة لاستيعاب الوجدان الإنساني عامة من خلال إطار حضارة

العصر وتحديد موقف الشاعر منه كإنسان معاصر"[٢٩]، وهذه العودة إلى التاريخ بكل مقوماته الثقافية هي عودة فنية تحمل في طياتها كل عناصر الإبداع والتفرد، وكان تعامل الشاعر المعاصر مع النسق الثقافي للتاريخ قد اتخذ صوراً متعددة يمكننا أن نقف على بعض منها.

فكان التراث التاريخي بكل صوره وإشراقاته وانتكاساته معيناً لا ينضب للشعراء، في محاولة لإنتاج ما جرى من حوادث وإثارة الدهشة والسعي نحو التعبير عن تلك القيم العليا التي كان التاريخ يسعى إليها، فإن النسق التاريخي المتضمن لميراث ثقافي يمثل ميراثاً وجدانياً ومعرفياً مشتركين بين الشاعر وقرائه، وتوقظ الذاكرة الوجدانية والجمالية للمتلقي ليبدأ نشاطه في استقبال القصيدة والتماهي معها[٣٠].في هذا السياق التاريخي تبرز الكثير من المواقف والأحداث التي خلدها التاريخ ، فكانت حافزاً للشعراء على البوح الشعري واستلهامه، فيورد الشاعر مجموعة من الرموز التاريخية التي كانت تمثل صناعة الجناة، فهذه أنساق ثقافية تفرض وجودها في المخيال التاريخي للشعوب يقول: في قصيدة(يا دم العراقي)[٣١]:

في بيارق الحسين

في دم السلالة

فوق بلاط الخيانة

تحت منابع التاريخ المرتعش

...

قدّمها وجبة لهولاكو المخصي

علّقها زينةً على مقابر السومريين

جداراً في زقورة بابل

قدمها تبغاً للمرتزقة

زوّد دمَ الضحيةِ بعطرِ الجناةِ

كلُّ الجناة

من نبوخذ نصر حتى مطلعِ القصيدة

الخطاب الشعري الذي تضمن الكثير من أنساق التاريخ الماضي يحمل في طياته الكثير من النسق الثقافي ودوره في شيوع الجناة والقتلة على مر التاريخ، الذين شكلوا بجبروتهم وقسوتهم ذاكرة للأجيال عما ألحقوه من ظلم وجبروت وقسوة لإسكات صوت الحق في كل زمان ومكان، إنه يمثل حكم الطواغيت في كل عصر وحين، إنهم يمثلون عداء للإنسانية جمعاء، فيوظف الشاعر تلك السياقات الثقافية لأنه على دراية بأنها تشكل رموزاً للطواغيت، فالشاعر من خلال زخم هذه الرموز يحاول أن يمرر نسقاً مضمراً له لما يجري من ويلات ومحن فيدعو الشعوب العربية إلى جعل مثل تلك الأنساق وسيلة لأخذ الحيطة والحذر من مكائد الأعداء؛ لأن مثل تلك المواقف التاريخية التي تحمل الكثير من العبر، فنص الشاعر يبد بتجسيد قيم الشهادة والتضحية ممثلة بسيدنا الحسين(عليه السلام)، ومروراً بكل رموز الطغيان والجبروت وعلاقتها بالتسلط في كل زمان ومكان.فتتجلى رؤية موسى حوامدة في أنه يستلهم الموروث التاريخي لتقديم صورة تقوم على بناء فكري للسياق التاريخي المنحرف عن مسالك الخطابية المباشرة، وتفريغ طاقتها الإيحائية من خلال شحنها بمواقف معاصرة، فقد أرتبطت على مر التاريخ بالعراق كثرة الفتن والدسائس، فيستلهم الشاعر تلك الأنساق الثقافية في بيان موقف معاصر، يقول:[٣٢]

مرارةُ النشيدِ

لم تحرسْ نشوة القصيدة

بياض الموت

ينامُ في أرضِ الرافدين

طوبى للقتلة

طوبى للقبور

طوبى للمومسات

في كلِّ العصور

طوبى لدم الحروف وخيانة الريح

نتلمس في هذا النص الشعري المشحون بنسقية الموت والقتل حضوراً للموت الذي أصبح صنو بلاد الرافدين، فقد جعل الموت دليلاً على ما مرَّ في تاريخ العراق الطويل من كوارث وفتن، فالأنساق التي تشير إلى الموت هي متجذرة في الذاكرة العراقية التي لا تفارقها؛ بل إن الموت ينام في أرض الرافدين في كلّ العصور، وكأنه لازمة تاريخية لا تنفك عنه، وعلى سبيل التهكم والامتعاض والرفض يجعل طوبى للقتلة وللقبور وللمومسات، فالموت بما يمثله من نسقية جعله الشاعر رمزاً ثقافياً دالاً على بلاد الرافدين. وتتعدد الصور المستلة من النسق الثقافي ذي الطبيعة التاريخية، التي تتسم بفاعلية في الذاكرة الإنسانية، وتشكل حضوراً واسعاً في الشعر، والشاعر المعاصر أدرك ما للتاريخ من قيمة ثقافية؛ لأنه يمثل" أقوى مصدر من مصادر الثقافة والأكثر ارتباطاً وتفاعلاً وحضوراً في ممارسات الناس وانفعالاتهم وتفصيلاتهم في حياتهم العملية واليومية"[٣٣].

يقول في قصيدة(لن ينتهي اسم فلسطين)[٣٤]:

لم ينته الكلام

لأقص جديلة أمي

وخطواتها فوق تراب البلد

وآثار أجدادي

آثار أيديهم على جدران البلد

لم ينته الكلام

لأقرّ للمحتل أن الحكاية وصلت لطريق مسدود

وأن المدينة ضاعت للأبد

هنا يجعل الشاعر من ذاته رمزاً للتفاخر، من خلال إبراز نسقية تراث الأجداد الذين يمثلون قيمة اجتماعية عليا، فدورهم في حماية هذا البلد على مر العصور شاخصة لا يمكن أن تمحو ذكرها الأيام، ومعلوم أن مثل هذا النسق الثقافي الذي يحمل بذور التفاخر والتعالي، وينطلق من كون هؤلاء الأجداد هم من ضحوا في سبيل هذه الأرض، وأن الواجب عليه أن يسير على خطاهم، فالنسق الاجتماعي يفرض حضوره بوضوح، والإنسان يعتز بتراثه ولا سيما ما يحمله من قيم عليا، فهو سيكمل سيرتهم على نفس الخطى، وعلى الرغم من احتلال الصهاينة للقدس فإن الكلام لم ينته مادامت آثار أيديهم على كل شبر في هذه الأرص وإن المدينة لن تسقط، فمثل هذا النسق ذي الطبيعة التاريخية هو مصدر إلهام للجميع، ويكون مصدراً للفخر والتباهي، ومثل هذا التباهي يمثل نوعاً من امتداد الماضي بالحاضر ، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، وأنه يمنح التجربة الشعرية نوعاً من الشمول والكلية[٣٥]، ومثل هذه السياقات الثقافية لها قوة فاعلة في تجسيد الرؤية الفنية بما تمتلكه من عناصر ذات فاعلية مؤثرة في مسيرة الشاعر بما تشتمل عليه من قيم تاريخية عليا.ولما كان الشاعر هو أحد الأنظمة الثقافية في المجتمع فإنه يقدم لنا ما يمكن أن يكون منبهاً على كل سلبيات المجتمع، و لاسيما ما يمكن أن يحمل فكراً متطرفاً أو عداءاً للشعوب عبر مراحل تاريخها الطويل، فيؤخذ على عاتقه تشكيل الأنساق التي تظهر حقيقة توجه للتنبيه والتحذير، يقول حوامدة في قصيدة(الشبيهة):[٣٦]

هم يشبهون شظايا الفخار المطورة منذ عهد

الإسكندر

الفيلة التي يركبها جنود كسرى وصلت إلى الحيرة

مغنية الراب حرقت قميصها الشفاف

على مسرح الدمى

الشبيهة بخيانة بيلاطوس

بخيانة سراق عناوين القصائد الشعرية

يقوم هذا النص على إظهار نسق مضمر في الذاكرة الإنسانية، وهو يحاكي التاريخ الماضي من خلال بعض رموزه التي اشتهرت بالظلم والخيانة والغدر، فهؤلاء يشبهون رموزاً ثقافية عرفها التاريخ، وتركت بصمته عليه فكانت نسقاً يشار إليه بأفعال شوهت وجه الإنسانية، فالشاعر

يعمد إلى تشبيههم ب(قطع الفخار منذ عهد كسرى، و الفيلة منذ عهد كسرى، وخيانة بيلاطوس)، فمن خلالها يطرح الشاعر قضيته بكل" خصائصها النوعيّة تحت شبكة معقدة من التفاعل بين المرجعيات بكل مكوناتها وبين هذه النصوص، ليغدو النص بناءً على هذا التصور، منتجاً ثقافياً"[٣٧]، وعلى تعدد مشاربهم ومساربهم تغدو تلك الأنساق المضمرة في ذاكرة الشعوب تحمل في طياتها كل أشكال القهر والظلم، فيشير الخطاب في هذه النصوص إلى السراق بكل عناوينهم، فقد أصبح السراق يمثلون وجه المجتمع الممسوخ الذي غطى أفعالهم، فالشاعر في هذا النص يبدو أنه يأس من إصلاح هذا المجتمع الذي سوغ أفعالهم وأصبحوا وجهاً للثقافة، ولكنه على الرغم من ذلك يحاول أن يعري تلك الطبقة التي تجلب التشويه للمجتمع من خلال بلورة النقد بنسق ثقافي يختبيء تحته نسق مضمر يعبر بوعي عن مقصدية الشاعر، من خلال زيف الآخر وعيوبه، فمسؤولية نقد المجتمع وإصلاحه تقع على الطبقة الواعية التي تشير إلى مواطن الخلل التي تعتري المنظومة المجتمعية، والشاعر أحد تلك الأعمدة الفاعلة، فتستحضر كل الأنساق الثقافية التي من الممكن أن توقظ الذاكرة المجتمعية لما يجري حولها من خيانات ودسائس، فهذه الأنساق في هذا النص تحمل كل علامات الخراب والخيانة، فيشير إلها الشاعر لفاعلية النسق الثقافي في تقريب الصورة وتكثيف الحدث.ويلجأ الشاعر إلى رموز التاريخ بمختلف أزمنته ليجسد لنا حقيقة معاصرة تتمثل بضياع قضية فلسطين، فكل ما يجري على أرضها من مصائب بسبب الاحتلال الغاشم، ولكن الشاعر يقلب حقيقة الواقع ليحاكي وضع الاحتلال الذي ينظر إلى الفلسطينين أصحاب الأرض أنهم معتدون، فيقول في قصيدة(الفلسطينون)[٣٨]:

الفلسطينيون

مسؤولون عن صلبِ المسيح

وحروب الردةِ

وطعن ابن الخطاب

وقطع رأس الحسينِ

والفتنة الكبرى

والصغرى

وملومون

حين أيدوا آدمَ في نزولهِ من الجنة.

في هذا النص نلحظ التحريف لحقائق التاريخ عن قصد من لدن الشاعر، ليوصل رسالة فحواها :اختلال القيم والحقائق، فيجسد من خلال آليات ثقافية زيف الواقع ليواجه به التاريخ المراوغ الذي يلصق التهم بالأبرياء، فيخلق الشاعر مفارقة نسيقة مستمدة رموزها من التاريخ الديني والسياسي على مر العصور، فيستند الشاعر إلى رموز تاريخية وحوادث دينية، مثل:(صلب المسيح و حروب الردة، و طعن عمر بن الخطاب و قطع رأس الحسين، وخروج آدم من الجنة)، فيمثل الخطاب النسقي لهذه الرموز تراكماً ثقافياً يعيد كل صور المحن والفتن والبلاء التي عاش بها الفلسطينيون، على سبيل المغايرة والمفارقة، فيعيدها بشكل ساخر كي يحقق المفاجاة وكسر أفق توقع قارئه، فيزيد من ارتداد النصوص نحو واقع معاصر يلبي طموحات الأعداء.والشاعر حين يجعل من حوادث التاريخ وسيلة للتنبيه وبيان سفه ومغالطات الواقع، فإنه يحاول نقد هذا الواقع من خلال مجموعة هذه الرموز، وهو على يقين بفاعليتها كونها تمثل نسقاً ثقافياً مشتركاً بين الجميع ، فمثل هذه الأنساق تمثل" أقوى مصدر من مصادر الثقافة والأكثر ارتباطاً وتفاعلاً وحضوراً في ممارسات الناس وانفعالاتهم في حياتهم العملية و اليومية"[٣٩]، حتى يشير إلى مكامن الضعف التي تعتري المنظومة السياسية في صراعها مع الواقع في ضوء تفسيرات متعددة يطرحها الشاعر في تعامله مع الأنساق الثقافية على مختلف تأثيراتها في الناس والمجتمع.تسلك الذات الشعرية أحيانا نسق الخيبات وغياب البطولة الذي عصف بتاريخ هذه الأمة، فشكل مفارقة كبرى تنذر بحاضر مهزوم في ظل صراعات وتناحرات وخيبات أمل كبيرة، مفصحاً عن واقع مر، فمثل هذه الأنساق الثقافية تبقى في ذاكرة الأجيال تلهمها كل مظاهر البطولة والعزة، وحين تصبح تلك المظاهر مجرد تاريخ يحكي، فإنها تصيب هذا الجيل بالخيبة والقهر، يقول في قصيدة(قصائد ليست شعرية):[٤٠]

في بيارقِ الحسين،

في دَمِ السلالة

فوق بلاطِ الخيانة

عند عتباتِ النجف
تحت منابعِ التاريخ المرتعش
في سجنِ أبي غريب
في حريق الوشايات .
بُحْ يا نجيعَ الموتِ بالفاحشة
قُدْ عشتارَ من يديها
قَدِّمها وَجبةً لهولاكو المخصي
عَلّقها زينةً على مقابرِ السُومريين
جداراً في زَقُّورةِ بابل
قَدِّمها تبغاً للمرتزقة
زَوِّدْ دمَ الضحيةِ بعطرِ الجُناة
كلُّ الجناة من نبوخذْ نَصَّر حتى مَطلع القصيدة .

تتزاحم في هذا النص مجموعة من الأنساق والرموز ذات المدلول التاريخي الذي يقدم صورة لتاريخ الأمة المفعم بالجراح والأسى، فشخصية الحسين(عليه السلام) تدل على الثورة وتغيير الواقع، وفي المقابل هناك أنساق تحمل دلالات تدل على الجبروت والقسوة، ثم يستثمر وقائع وشخصيات تاريخية ذات بعد ثقافي في ذاكرة العراقيين ولا سيما(عشتار، و هولاكو، و نبوخذ نصر)، ففكرة الطاغية والضحية تعملان معاً لتشكلان حاضنة ثقافية لها القدرة على إعادة صياغة واقع الأمة، والتنبيه على مكامن الخطر، ثم يشير إلى نسق يحمل دلالة لا تُنسى في ذاكرة العالم وهي(سجن أبي غريب)، يحاول الشاعر أن يوظف هذه الأنساق كي يشير إلى الجرائم التي يرتكبها الجناة بحق هذه الشعوب، فأصبحت نسقاً فاعلاً ليبين أن الحوادث التي جرت في الحاضر هي مأخوذة من الماضي، وكأن التاريخ يعيد نفسه الضحية نفسها والجناة انفسهم تتكرر، وهذا الخطاب" يحمل دلالات نسقية مضمرة تحيل إلى الظلم والجور والحرب والقتل والبطش والجبروت نتيجة لتسلط الفئات الباغية المستبدة في الأرض"[٤١].فالأنساق التي يشتمل عليها النص ممثلة بنسق الطاغية الذي تكررت صورته بأكثر من شخصية يقابلها نسق ثقافي يشير إلى الضحية، فيحاول الشاعر أن يمرر قصده من خلال لفت الانتباه إلى الخطر الذي يحدق بالأمة فلا فرق بين أمسها وحاضرها، فالجناة أنفسهم على الرغم من تغير الأدوار، فإذا كانت الضحية الحسين وعشتار، فاليوم سجن أبي غريب وكل أنواع الظلم الماثلة امام العالم الذي لا يحرك ساكناً، فيحاول الشاعر أن يهدم النسق القار في الثقافة العربية مثل صناعة الفحل أو الطاغية.

ثالثاً: البعد الأسطوري :

الخطابات الأدبية في ضوء النسق الثقافي ليست مجرد حلية لغوية ذات تأثير جمالي ومحملة بدلالات شتى؛ بل هي معطى فكري وثقافي محمل بخلفيات معرفية تختزل ثقافات أمم وشعوب، حافلة بتاريخ يشتمل على كل ما يمت بصلة إلى هذه الشعوب من خلفيات مؤسسية واجتماعية لها القدرة على هضم هذه الأنساق وبهذا يهدف "النقد الثقافي" في تعامله مع النصوص الأدبية إبراز الصراع الطبقي الدائم الذي تحاول أثنائه كل طبقة ترسيخ القيم الثقافة التي تخدم مصالحها هي وفي ذلك الصراع الطبقي تحدد هذه القوة أو السلطة طبيعة العلاقة الاجتماعية ومن ثم طبيعة المنتج الثقافي"[٤٢]، ومعلوم أن الأسطورة في الأدب ولا سيما الشعر لها القدرة على الظفر بدلالات شتى لتعبر عن مقاصد الشاعر وما يريد إيصاله إلى القارئ، فضلاً لدورها في الكشف عن الأنساق المعرفية والثقافية لمجتمعنا، والأسطورة هي فكر ونتاج تلاحق معرفي تروي تاريخاً من الرموز والقيم بمختلف توجهاتها، فضلاً عن ذلك هي نسق رمزي صوري لأشكال ونماذج وممارسات غير واقعية وخيالية منتمية إلى حقبة زمنية قديمة تحمل في جوهرها طابع التجديد نظراً إلى شحنتها الجمالية الحسية العميقة وظاهرها العجيب الغريب[٤٣].والمتتبع لمفهوم الأسطورة يجد من الصعوبة بمكان وضع مفهوم محدد لها، فهي لا تزال يلفها الغموض في بعض جوانبها؛ لأنها بنية معرفية عميقة ذات مفهوم مختلف الاتجاهات والتوجهات، فهي نتاج معرفي وديني كبير يضم بين دفتيه تاريخ شعوب، مما جعلها نسقا ثقافياً كبيراً له الدور الفاعل في الحياة والمجتمع، وانكب الشعراء على توظيفها للإفادة من طاقتها التعبيرية الكبيرة إذ تضيف زخماً روحياً للأدب بعامة والشعر بخاصة ، وقد تفنن الشعراء في استلهام رموزها وما تشتمل عليه من مفاهيم وقيم روحية، ويمكننا ان نقف عند بعض من تلك الأنساق الأسطورية في شعر موسى حوامدة، يقول:[٤٤]

حين يأتي الموت
سأزرع الغروب في حديقة الوداع؛
أعلنُ هزيمةَ الإنسان
وألقي فلسطينَ،
في دفتر الغياب.
حين يأتي الموت
سأرمي زهرةَ الخلود
في وجه جلجامش
وأهزأُ
من نصائح الطبيب.

كلكامش يحمل نسق الحياة في الثقافة الإنسانية، فقد قضى عمره وهو يبحث عن نبتة الخلود، والشاعر هنا يتكئ على هذه الأسطورة ليقدم لنا نسقاً معرفياً قاراً أن لا فرار من الموت، فالموت هو نسق متجذر في الحياة، والشاعر هنا يريد أن يبين أن الموت لا يقف أمامه أي شيء، وفي قوله:(سأرمي زهرة الخلود في وجه كلكامش)، فإنها تخرق النسق المعتاد في الثقافة الذي يمثله كلكامش، فالخيبة التي ترافق الشاعر وفكرة الموت التي تمثل بنية قارة في شعر حوامدة تؤكد أن لا شيء يحول دونه، ولعل تكرار عبارة(حين يأتي الموت) في هذا النص أكثر من مرة ما هو إلا إقرار من الشاعر بكسر النسق المتعارف عليه بأن كلكامش يمثل رمز الخلود في كل عصر، فالخيبات التي يمنحها كسر هذا النمط المعرفي ما هو إلا دليل على حالة الشاعر النفسية المأزومة، وهو يرى بلدة فلسطين محتلة، فأصبح الموت يمثل هاجساً يرافق الشاعر بفعل الانقلاب السياسي والاجتماعي.ويستحضر الشاعر رمز كلكامش وصديقه انكيدو في قصيدة (يا الدم العراقي)، فيرسم تفاصيل مشهد شعري مؤثر، موظفا الأسطورة في التعبير عن حالة معاصرة، يقول:[٤٥]

بحْ يا الدمَ العراقي بالنشيج،
بحْ بالعويل على خُطى أنكيدو
بحْ بالحرائق للنار
تكلم بتلك اللغةِ الأشوريةِ المعلقةِ عند قبرِ تمّوز
تمتمْ بهذيان جلجامش لزهرة الخُلود
بحْ يا جسدَ الشاعرِ بالهزيمةِ
بُحْ بالنقمةِ والضياع عند محطاتِ الباصات

يتكرر فعل الأمر(بُحْ) في بداية القصيدة أكثر من مرة ليقوي الشاعر فكرته ويمنحها الحيوية والفاعلية في ترسيخ الحدث، وهذا ما جعل الشاعر يطلق صرخته بعد أن فقد صديقاً عزيزاً عليه، فالشاعر من خلاله يرثي الحياة ويجسد معاناة الشعراء في زمن أصبح الشاعر ينتقل من سجن لآخر بسبب نقده للواقع السياسي، فالشاعر في هذا النص يعيش حالة الحزن والفقد ويشكو الأسى بسبب انعدام الأمن والشعور بالحرية، وهنا يوظف مجموعة من الأساطير العراقية القديمة ويجعلها جزءاً مهماً في تجسيد خطابه الثقافي، ومن خلالها يوجه نقده ولومه للمجتمع متخذاً منها منفذاً تعبيراً عن واقع حال الأمة، فمثل هذا النسق الثقافي يمنح الشاعر مساحة تعبيرية مؤثرة، فكما مات أنكيدو وهو يبحث عن سر الحياة ومثله تموز رمز الخصب والحياة وكلكامش الذي مات في سبيل أن هدفه، فكل هذه الرموز الدالة على حب الحياة، يستلهم الشاعر معانيها ليدلل على انتصار الحياة، ومثل هذه المعاني تمثل قيماً ثقافية، والشاعر حين يوظف هذه الأساطير فإنه يمنح نصه قيمة فنية عليا، ويكسبه دلالات جديدة ويعزز بنية نصه الشعري، ويدفعه إلى طرح أنساق ثقافية لها حضور في الذاكرة الإنسانية، فدلالات هذه الرموز في هذا النص تحاكي غياب الحياة، والشاعر يوظف هنا ثنائية الحضور والغياب، فحضور دلالات هذه الرموز في الذاكرة الإنسانية يقابله غياب فاعليتها بموت صديقه الذي رأى بموته موت مثل هذه الأساطير التي فقدت رمزيتها.والشاعر حينما يوظف مثل هذه الأساطير؛ فإنه يريد أن يعبر من خلالها عن واقعه ويتكلم بلسانها، فاستلهام الاسطورة في الشعر المعاصر هو العودة إلى ذلك التراث الذي يجد فيه مادةً ثريةً من خلال الرمز الأسطوري الذي يكون صالحاً في التعبير عن قضايا الأمة وهروباً من واقعه المأزوم من خلال ما تشتمل عليه من دلالات ثقافية

وفنية، يقول حوامدة متخذا من موت أنكيدو صديق كلكامش نسقاً للتلاشي والضياع والموت، وهذا النسق الثقافي يحمل مدلولات ذات أبعادًا درامية عميقة فقد منحت النص مزيدًا من الدلالات الرامزة التي تعبر عن الواقع المعاصر، يقول في قصيدة(وأنا ميت):[٤٦]

يا موتُ رويدكَ هنا لأصلح رأسي قليلاً

وأشربُ كثيراً من الخمور

وأقتل الدود في جثة صديقي

آه يا أنكيدو

يا عدوي السابق

وصديقي الخالد

أما كان يمكن أن تهرب مني ومعي؟

الخطاب الذي ينطوي عليه النص يحمل نسقاً ثقافياً فهو يحاكي قصة البحث عن زهرة الخلود التي تنتهي بموت أنكيدو وسرقة الزهرة بوساطة الحية، فالخيبة التي يشكلها النص تمثل واقعاً يحيا في ظله الشاعر، ففقدان الأشياء يحمل في ذاته خطاباً لضياع الحقوق وانقلاب موازين الحياة التي تنتهي باختلال القيم، فالمحمولات الثقافية للذات تجعلها تشعر بالضياع والأسى، فثلما كان موت أنكيدو جعل كلكامش يشعر بالخيبة بعد بحث طويل سلك من أجله القفار والفيافي، فخسر صديقه وخسر معه كل شيء، فهذا الأمر عند المجتمع الإنساني يمثل تراثاً ثقافياً وحضارياً كبيراً، يحاول الشاعر أن يستغل قيمته الثقافية في التعبير عن قضية معاصرة، فكما أن حب الوطن كبير وفقده يوازي الموت، فالشاعر يحاول أن يجعل من موت أنكيدو معادلاً موضوعياً لاحتلال فلسطين وتخاذل الجميع عن نصرتها، فتكشف لنا معطيات النص الثقافي عن موقفين أو قراءتين، الأولى تمثل موقف الشاعر بعمق هذه التراث الذي يستمد منه كل قيم التضحية في سبيل الهدف المنشود، والآخرى مضمر يستشف من خلال دلالات النص الموحية تمثلت بقيم الصداقة وعمق معانيها، فثلما لم يخيب أنكيدو صديقه كلكامش ودافع عنه بعد قتاله مع الوحش[٤٧]، وهذا نسق ثقافي مضمر في سلوكنا وتقاليدنا، ومهمة الأديب في مثل هذه الحالة هي البحث عما يلائم الغاية والهدف والموقف الشعوري والرؤية العميقة فيبرز المعطى الثقافي بعد الفهم والتمثيل وفهم الموقف المعاصر وإذابته في شبيهه الأسطوري ليكون الكل الذي يعطي الإحساس بصدق الموقف التلقائي[٤٨]، فمثل هذه الأنساق تعدّ من جماليات التعبير التي تمنح النص الشعري طريقه في الوعي الثقافي المعاصر؛ لاشتمالها على قيم روحية خالدة تضمن لها الترسخ و الاستمرار.كان لنسق الخوف والتشاؤم حضور في الانساق الثقافية التي وظفت في شعر موسى حوامدة ولعل رمز الغراب الذي ارتبط بالخراب والدمار له حضور فاعل في نصوص الشاعر، وهو عند العرب نذير شؤم يتشاءم الناس بنعيبه برؤيته كأنه ينبئ بالشر، وهو من شرار الطير[٤٩]، يقول حوامدة في قصيدة (نسيج بنلوبي وحكمتها):[٥٠]

فيا لسوء المطرودِ من عدنِ

حين يعودُ الغرابُ منتشياً

يحيل العذابِ نعمة

والفردوس جحيماً

وظف الشاعر نسق الغراب الذي يحمل دلالة على الخراب والشر، وهو فكر ثقافي متجذر في الوعي الجمعي وفي ثقافة المجتمع على مر العصور، وهذا ما جعل الشاعر يقرنه بالخروج من عدن ومن النعيم، فهو يحيل النعمة عذاباً والفردوس جحيماً، فالتشاؤم في ثقافة المجتمع هي ردة فعل لما يشير إليه هذا الطائر الذي يوجد في الأماكن التي تتعرض للتدمير، بحثاً عن الجيف وجثث الأموات، ويعود ذلك حين أرشد قابيل على كيفية دفن أخيه هابيل حين قتله ومنه قوله تعالى:**(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ)**[٥١]، ولهذا هو رمز للخراب والموت الذي ارتبط به منذ القدم، ولايزال إلى عصرنا هذا، ويستثمر الشاعر مثل هذه الانساق الثقافية ليقدم لنا صوراً متناقضة لما يجرب اليوم من قضايا معاصرة فيعرضها بسياق ثقافي كي يضمن لها التأثير في جمهور المتلقين، فيؤدي مثل هذا النسق دوراً بارزاً في رسم صورة للشر في كل زمان ومكان، ويمكن القول أنه عبارة عن كناية يكني بها عن مقدار الشر في هذا العالم، فالنسق المضمر الذي تشتمل عليه دلالة الغراب تعبر عن حالة شعورية تمثلها حالة التشظي والخيانة التي تعصف بالأمة، ويمنح رمز كهذا الذات تورية ثقافية تشير من خلالها إلى تناقضات شتى وأفعال تحمل الشر في سلوكها وما تقوم به.

المبحث الثاني: التمثلات الثقافية بين المجتمع والذات:

أولاً: الهوية المجتمعية:

لكل فرد في المجتمع له هوية وهذه الهوية هي التي تحدد مكانته داخله، وفي ضوئها يمارس حريته ويتمتع بها، فيؤثر ويتأثر ويتبادل الخبرات والثقافات، فتتجسد هذه التمثلات الثقافية بصورة مضمرة أحياناً، والحديث عن هذه التمثلات هو حديث عن الهوية التي تربط الفرد بمجتمعه وتجعله واحداً منهم، لذا لا يمكن الفصل بين هذه الهوية والثقافة، فهناك علاقة تبادلية مهمة بينهما بحيث يصعب الفصل بينهما، فهما يكملان بعضهما بعضاً، وهذه الهوية إما أن تكون فردية أو جماعية، وهي " كل ما يشخص الذات ويميزها وهي السمة الجوهرية التي توجد الاختلاف بين الأفراد والجماعات؛ بل وتبرزه بين الثقافات وعلى هذا الأساس يمكننا القول: أن الوظيفة الأساسية للهوية هي حماية الذات الفردية والجماعية مما يمكن أن ينزع عنها وما يميزها"[٥٢]، فتعد هذه هي الأساس في تأكيد الذات ومنحها قيمتها داخل المجتمع، وهذه الهوية" ليست أحادية البنية، أي لا تتشكل من عنصر واحد، سواء كان الدين أو اللغة أو العرق أو الثقافة أو الوجدان أو الأخلاق، أو الخبرة الذاتية أو العلمية وحدها؛ بل هي محصلة تفاعل هذه العناصر كلها"[53]، وتأسيساً على ما سبق فالهوية الثقافية لها تأثير فاعل في وسم الأفعال والممارسات التي تتجسد داخل المنظومة المجتمعية على هيئة ولاءات وقيم وانتماءات مختلفة سنحددها في هذا الموضوع.ويمكننا أن نقف عند مفاهيم هذا المبحث، ولعل الانتماء بمختلف أشكاله يندرج في ضمن مفهوم الهوية المجتمعية، فله حضور بمختلف المستويات على صعيد الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، فطبيعة الإنسان أنه دائماً يسعى لبيان انتمائه وهو" ظاهرة إنسانية فطرية تربط بين مجموعة من الناس المتقاربين والمحددين زماناً ومكاناً بعلاقات تشعرهم بوحدتهم، وبتمايزهم تمايزاً يمنحهم حقوقاً ويحتم عليهم واجبات"[٥٤] ، وفي ضوء ذلك فإن الانتماء هو حالة طبيعية في المجتمع تتميز حين يكون الولاء للوطن أولاً، فهي شعور مضمر يظهر حين يكون الفرد على المحك، ومنذ العصر الجاهلي والشاعر يدافع عن قبيلته التي تؤويه ويضحي من أجلها، فكان الولاء قبلياً، فالشاعر لايرى إلا قبيلته؛ بل حتى الشعراء الذين طردتهم قبائلهم وسموا بالمخلوعين ظل انتمائهم إلى قبائلهم أمثال الصعاليك والأغربة وغيرهم، وما الوقوف على الأطلال إلا جزء من انتماء الشاعر وولائه إلى الأرض والوطن، ولعل الشاعر المعاصر وهو في خضم هذا الصراع الذي يستهدف وجود الأمة كان للشاعر موقف من انتمائه فالوطن عزيز والدفاع عنه واجب مقدس في كل الشرائع والأديان، فالمكان بما يشكله من حضور فاعل للهوية المجتمعية، فإنه يمثل نسقاً ثقافياً بما يشتمل عليه من ذاكرة جمعية بكل ما فيها من ذكريات تفرض وجودها داخل وجدان الفرد، ولعل الظروف القاهرة تجبر الإنسان على ترك أرضه فيبقى إحساس الغربة ينهش بجسده ويح لأرضه، والشعب الفلسطيني من أكثر الشعوب التي عانت الغربة والتهجير فشكل ذلك إحساساً طاغياً بالولاء نتيجة ظروف الحرب والاحتلال، فكان شاعرنا خير من عبر عن ذلك الانتماء وتجسد بإبداع أدبي فهو" حضور إبداعي على الصعيد الثقافي والعلمي فثمة أعمال إبداعية في التراث العربي والعصر الحديث عبرت عن الهوية العربية باقتدار، وتجاوزت حدود الانتماء إلى آفاق إنسانية"[٥٥] ، وتتجسد دلالات الانتماء في أزمة نفسية نتيجة الظروف المختلفة.فيبرز الولاء وحب الوطن بوصفه نسقاً ثقافياً، يقول الشاعر في قصيدة (لن ينتهي اسم فلسطين):[٥٦]

سأكتب طالما ظل في دفتر الشعر حرفٌ واحدٌ
وظلّ في خزانة الله مددْ
وأصيحُ في آذان الدهور والمجرات:
هذي البلاد بلادي
مذ خلق اللهُ كونهُ
وكان واحداً أحدْ

يقوم النسق الثقافي في هذا النص على تجسيد قيمة الانتماء إلى الوطن، وهو ما يعد فكرة رئيسة تمنح نصوص الشاعر قيمة بالهوية التي ينتمي إليها، فالثبات على هذا الانتماء يمنح النص الخلود، ولا سيما حين يكون الشعر رسالة يريد منها أن تصل إلى تجسد ذلك الولاء والانتماء، فالوطن ليس مجرد قطعة أرض نعيش فيها؛ بل إنه حياة وعلينا أن نجعل من حبنا لها قيمة اجتماعية عليا، والشاعر الفلسطيني له خصوصية من بين كل الشعراء العرب في مسألة الانتماء؛ لأنه عاش في زمن مشحون بالنكبات والغربة التي جعلت انتماؤه إلى وطنه يشكل نسقية ثقافية تفرض وجودها في كيانه ووجوده الاجتماعي والثقافي، وعلى الرغم من هجرة الشعراء عن أوطانهم وبعدهم عنه ولكن حب الوطن والانتماء إليه ساكن فيهم يشكل ثقافة وانتماء. يبرز خطاب الشاعر في هذا النص من خلال الانزياح الذي تمثل بقوله: (وأصيحُ في آذان الدهور والمجرات) فمثل هذه الانزياحات لها قيم ثقافية وحين تقع في سمع أحدهم تترك أثراً نفسياً ودلالياً، وعلى الرغم مما يتركه ترك البلاد من قهر نفسي واجتماعي، فذات الشاعر ليست يائسة تستسلم لما يجري؛ بل هي ذات فاعلة قادرة على مواصلة الكفاح ويؤيدها قوله:(هذي البلاد بلادي مذ خلق الله كونه...)، فعلى مستوى البنية العميقة أو النسق المضمر تتجسد فاعلية الخطاب النسقي في ضمن حدود مجتمعية فاعلة، فمثل هذه

العلاقة التي تربط الفرد ببلده تصبح علاقة" روحية فهو الذي يعمق الانتماء والحب وحلم الفرد مع الجماعة فلا يبقى مكان أحادي التجربة بل يصبح عامل ربط بين بني الإنسان[٥٧]، و لا سيما حين يتعلق الأمر بوطن يحمل كل هموم هذا الفرد الذي يرى فيه كل وجوده وتصوراته. ومن صور تجسيد الذات الانتماء إلى المدينة بكل ما فيها، وهذا الانتماء لا يعد طارئاً بل يمثل ثقافة متوارثة على مر العصور، فهي المكان الأول الذي يتجذر في الذات الإنسانية، هو البؤرة المركزية التي تستقطب تفاصيل الحياة الشاملة والنواة الخفية التي تتمحور حولها الذات الشعرية[٥٨]، يقول:[٥٩]

أتهون .. أم؟

تلك المدينةُ والبداية..

تلك القضية وانفصال القهر عن مدن العذاب!

هنا تصبح المدينة أُماً، فإذا هانت الأم تهون تلك المدينة التي تمثل قضية الشاعر، فالنسق الثقافي يمثل قيمة عليا، فلا غرابة فهي قضية الشاعر الخالدة وقضية كل عربي يرفض الظلم والعدوان، وتتساوى هنا انتماءات الشاعر وما يؤمن به فهو لا يتزحزح كإيمانه بأمه التي ولدت وسهرت عليه حتى أصبح رجلاً، فهي قضية ثقافية متجذرة في وجدان الشاعر وكيانه، فهي البداية والقضية وانفصال القهر عن مدن العذاب، كل هذه المتتاليات النصية تجسد قضية الشاعر، وهذا ما جعل المدينة تقترن بثقافة الشاعر وبكل ما يؤمن به ولا سيما حين تتعرض مدينته للاحتلال فهنا تتساوى يحصل التحدي لوجود الشاعر وكيانه، وتصبح قضية الولاء قضية ذاتية وتحدياً كبيراً للبقاء. فولاء الشاعر وانتماءه يقوم على تكريس معنى الارتباط الفكري والحياتي بالمدينة وما تحمله من قدسية كبيرة، فضلاً عن مكانتها الخاصة بوجدان الشاعر وذاكرته. ويبقى الانتماء إلى المكان ممثلاً بالمدينة نسقاً ثقافياً يجسد رغبة الشاعر في بيان ارتباطه بوطنه، وتزداد حاجته إليه كلما تعمق إحساسه بالضياع، ولا يجد لنفسه السلوى إلا بذكر مدينته وما يربطه بها، ولعل الشعراء من أصدق من عبر عن حب المدينة؛ لأنه لا تربطهم بها أي مصلحة سوى الحنين والشوق، والإحساس بالضياع من دونها مما جعلها تشكل قيمة ثقافية عليا، يقول حوامدة:[٦٠]

سيكبرُ الناجون من المذبحة،

سيكبر جرحنا سنة جديدة

لكننا لن نهرب من الأمل

لن نقلع شجر الحنين لجبل الكرمل

لبحر عكا وسماء يافا

لتراب الرملة البيضاء

لن نقلع عن رؤية النجوم وفيّةً لعشاقها

ينهض النص هنا على ثنائية الحياة والموت، فعلى الرغم من الموت الذي يحيا في ظله أبناء الوطن إلا أن الإصرار والعزيمة تحطم كل الدسائس والخيبات، فتمنح هذه المدن دلالة التشبث والانتماء إلى الأرض، فالشاعر أكد الانتماء وهذا هو ديدن الشعب الفلسطيني الرافض للاحتلال، ومثل هذه الصورة للمدينة" تمثل معاناة الفرد في التحامه بمأساة الجماعة ، مشهد بكائي، لتاريخ الضياع والاغتراب والانكسار وحلم الخلاص المنشود"[٦١]، وهنا يتم توظيف رؤية ذاتية تجسد تطلعات الشاعر بغد أفضل، وقد تشكلت رؤية الشاعر بالمكان من خلال الوعي التاريخي بقيمة المكان وما يشكله من انتماء وقيمة دلالية كبيرة. الحزن: يتشكل نسق الحزن في ضمن سياقات ثقافية خاصة بالشعر العربي المقاوم وبالشعر العربي عامة، فقد كان العصر الحديث بما فيه من ويلات تمثلت باحتلال الدول العربية من الاستعمار البريطاني والفرنسي وبعض الدول الأخرى أثره في وسم هذا الشعر بظاهرة الحزن، وهناك أسباب عامة بسبب " طبيعة الظرف الحضاري الذي تمر به الأمة العربية، وغلبة الهزائم عليها مما جعل ظاهرة الحزن تمتلك قيمة تعبيرية واضحة أضافت للتجربة الشعرية بعامة آفاقاً جديدة ، زادتها ثراءً، وخصباً"[٦٢]، وارتبط بمفهوم الحزن سيقات ثقافية مثل الحرب واليأس والظلم، فكانت هذه الموضوعات مرتبطة بهذا النسق الثقافي الذي وسم شعراء الوطن العربي، ولعل الحرب من أهم الأنساق الثقافية التي برزت في هذه المرحلة، وقد عبر شاعرنا عن هذا النسق الثقافي بروح عربية خالصة جسد فيها كل أشكال الحزن يقول:[٦٣]

سأموت قهراً

وأموت في بلاد الناس

وما كان همي ألا أموت

لكن حزني بلاد

وحياتي قصيدة تتلاطمها الأمواج

الناظر إلى النص يرى أن نسقية الخطاب الشعري تقوم على الحزن الذي يغلف النص، ويبدو أن الحزن متجذر في حياة الشاعر، فهو يخشى الموت غريباً في بلاد الناس، ويشكل فكرة الخطاب الشعري، فالموت والحزن نسقان ثقافيان لهما حضور في حياة الناس ويقومان هنا في تجسيد طبيعة الصراع النفسي الذي يحيا في ظله الشاعر، ويبدو أن حزنه بلاد بأكملها، فهو يعطي للحزن صورة نسقية تتمثل بكونها تمثل حزنه على بلاده التي تمثل عنده غاية المطمح، فالموت فيها حياة، وهنا تتصارع ذات الشاعر ثيمتان الموت ببلاده والموت غريباً، فهنا تكون الذات تبحث عن الموت الذي يشكل هاجساً له حضوره الفاعل في تشكيل ثقافة الشاعر، وهنا يبدو الموت والحزن صنوان لا يفترقان يشكلان رغبة ملحة تجسد أمنيات الشاعر، ولكنها ستكون أمنية مرفوضة في بلاد الناس، فالموت هو غاية وأمنية في بلاده.

ثانياً:الهوية المتشظية:

من المعلوم أن الشاعر العربي مشغول بالهوية والخصوصية منذ أن تحول الولاء إلى الوطن والدولة التي يحيا في ظلها بعيداً عن كل الضغوط والممارسات التي يمكن أن تفوق هذا الولاء، فحاول الشعر أن يجسد صور هذا الانتماء من خلال الذات والخصوصية الذاتية، ويأتي هذا التشظي نتيجة ظروف سياسية واجتماعية تجبر الفرد على الإحساس بعدم الانتماء أو الاغتراب النفسي والجسدي فيعيش الشاعر في بيئتين إحداهما طاردة والأخرى جاذبة، وحالة التشظي هذه تظهر واضحة جلية يجسدها الشاعر، فالهوية ولاء وإحساس بالانتماء القومي، والديني, والإثني[٦٤]، وهي بذلك تختلف عن الغيرية التي لاتشتمل على مفهوم الانتماء، ومن ثم فإن هذه الهوية قد تتشظى ويصيبها الوهن والضعف حين تكون هنالك ظروف خارجة عن إرادة الفرد تشعره بعدم الانتماء وتشظي الهوية المجتمعية، وشاعرنا قد هرب من فلسطين بسبب ملاحقة الصهيانة له، فاستقر بالأردن، وهكذا عاش الشاعر مرحلة ثانية شكلت ثقافته إنها مرحلة الاغتراب الذي يمثله عدم الانتماء. يعد الاغتراب من الأنساق الثقافية التي شكلت شخصية الشاعر الأدبية ووسمتها بهذا اللانتماء نتيجة اغتراب الشاعر عن بلده، فشكل هذا الإحساس قوة ضاغطة على الشاعر، وهو من أكثر المفاهيم الثقافية التصاقاً بالإنسان ويختلف من إنسان لآخر" لأنه يتلون بطبيعة صاحبه والمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر وما يحتويه من قيم و أعراف ومعارف"[٦٥] ومن خلال هذا الاغتراب تتقسم الذات على نفسها وتعيش مرحلة اللانتماء، لهذا نجد شاعرنا قد خاض هذه التجربة التي شكلت شخصيته وإحساسه بعدم الاستقرار، وعدم الإحساس بالهوية الثقافية المنتمي إليها، ويمكننا أن نقف عند بعض من نماذج شعره، يقول في قصيدة(أنشغل اليوم):[٦٦]

أنشغل اليوم بما ينشغل به المؤذن

أصيح في الظلام:

من أنا أيتها العتمة؟

من أنا أيها الصمت؟

من أنا أيها الكهف المخمور؟

في هذا النص تنشطر الذات وتضيع نتيجة الإحساس بعدم الانتماء، ويطلق الشاعر صرخته مدوية نتيجة الإحساس بالضياع، فيوجه تساؤلات شتى ولكن دون جدوى، وهنا تتجاذب الذات أشكال شتى من الضياع وعدم القدرة على تحديد وجودها وكيانها، وفي ضوء عدم الانتماء الثقافي والاجتماعي تنشطر الذات وتضيع الهوية الذاتية والمجتمعية، ويتعمق الشعور بالاغتراب أكثر حينما تضيع الهوية الثقافية وتتلاشي.

ويتكرر الدال اللغوي(من أنا) الذي يمثل إحساساً طاغياً بما يعانيه الشاعر من أزمة نفسية لشعوره بالاغتراب وضياع الهوية الذاتية، فتكون مفردات(الظلام، والعتمة، والصمت، والمخمور) صدى لتساؤلات الشاعر، فلا جواب ينتظر منها، وهذا يجسد الجانب السوداوي المظلم من ذات الشاعر وهويته المتشظية التي تعاني هذا التمزق النفسي.وتزداد قيمة التلاشي والضياع بفقدان هوية الانتماء والإحساس بالغربة والتشظي، فيخيم الأسى على وجدانه وتزداد الهوة بين الشاعر والارتباط بأرضه، فيجسد تساؤلاته للأرض قائلاً:[٦٧]

يا أمي الأرض.. ترابك جسمي

صخرك عظمي

قلبك نبض دمي

يا أمي الأرض و يا أمي

مني انتِ

أو منك أنا

فلماذا أقتلُ قبل أواني؟

ولمن تلديني من قبل

والموت القتلُ

أخر أفعالي

ولماذا أولد منكِ لأكبر ثم تعضيني؟

إحساس الشاعر بالغربة يشكل إحساساً مفرطاً بالألم، فيوجه تساؤلاته للأرض تلك الأم الرؤوم، التي لا تفرق بين أبنائها، ولكن الشاعر يقتل من أمه ويعض ويدمى، فلا يجد من يأوي إليه بعد أن طعن من أقرب الناس إليه، فتكون الأم معادلاً موضوعياً للأرض، وهذا ما جعله يعيش الغربة وعدم الانتماء وهذا الإحساس شديد عليه، فينفصل عن مجتمعه الذي يعيش في إطاره فيتسبب إلى تغير ثقافي واجتماعي، فتخيم عليه الكآبة والكبت وإعلان الشكوى على الواقع ومراجعاته، وهذا الأمر يدل على التشظي والضياع الذي يجعل التعرف إليه غاية في الصعوبة لفقدان الذات فعل الاندماج بالمجتمع[٦٨]، فلا يمكن للشاعر أن يتواصل مع مجتمعه نتيجة إحساسه بعدم الانتماء وصعوبة التواصل معهم فكرياً واجتماعياً، فتشكل تلك الضغوطات عوامل طاردة للتجانس النفسي والثقافي، فيدفع بالذات إلى تشظي الهوية المجتمعية. فالأرض في هذا النص هي تمثل النسق الثقافي الكبير من الانتماء والحب والارتباط والتضحية، ولكنها تتحول إلى فعل طارد لكل ما يمثل التواصل والانسجام، فيصبح ارتباط الذات بالأرض فعلاً معاكساً، فضياع الهوية الثقافية وتشظيها له اثار نفسية واجتماعية كبيرة فيشعر المرؤ" بالضياع والقسوة والوحدة النفسية والإحساس بالعجر والحيرة، فينكفئ على الذات ويتخذها محوراً لحياته، لما انتابه من ألم تمزق داخلي وألم نفسي، ومن ثم تتسرب الغربة إلى روحه"[٦٩]، فيتضح من ذلك أن النكبات التي تعرضت لها الأمة منذ وقت مبكر من القرن المنصرم، وكل تلك الصدمات أحدثت صدمة وصنعت جواً حاداً من التأزم النفسي والاجتماعي والثقافي، فكانت تداعياته عليه كبيرة وقاسية، فطبعت شعرهم بطابع الحزن والغربة وضياع الهوية المجتمعية نتيجة تقلبات الحياة، فكان الانتماء هاجساً يدفعه إلى التعبير عن هذا الحلم المنشود، ولكن قسوة الظروف كانت لها آثار سلبية على نفسية الشاعر، وإحساسه بالهوية التي تمثل ركيزة الانتماء على المستوى القومي والوطني، ولا وجود لمثل هذه الهوية دون وجود مرجعية ثقافية.

خاتمة البحث:

- للنقد الثقافية فاعلية قرائية مهمة في مجال الدراسات النقدية بمختلف مساربها، ويمكن الإفادة منه بمختلف مجالات النقد.
- النقد الثقافي هو نقد يبحث عن الأنساق الثقافية الحاضرة في النص والمضمرة فيه للكشف عن مواطن الإبداع، والجماليات المخفية ، فشكل بؤرة ثقافية قادرة على صياغة تجربته الشعرية ومنحها سمة الخلود.
- كان لحضور النسق الديني أثره الفاعل في منح تجربة الشاعر فاعلية وحيوية في لفت انتباه القارئ في ضمن أنساق دينية لها مرجعيات ثقافية في الذاكرة المجتمعية، سواء كانت الظاهرة أم المضمرة، فشكل ذلك حدثاً فاعلاً في تكثيف الحدث الشعري.
- معلوم أن أنساق التاريخ لها حضورها المنماز في تجربة الشاعر، فكانت أداة فاعلة في تشكيل أدوات القصيدة المعاصرة، وكل ذلك يكون على وفق هضم فاعل لمعطيات التاريخ، ومن خلال هضم صائب لأحداث التاريخ مما له أثر فاعل في بيان أثر المرجعيات التاريخية في تجربة الشاعر .
- كان لاستلهام الشاعر للنسق الأسطوري إنجازاً مهماً على صعيد شحن نصوصه بطاقة فاعلة كاشفاً زيف الواقع وتناقضاته المختلفة في ضوء مرجعياته الثقافية، فقد حظيت الأساطير القديمة بحضور فاعل في نصوص الشاعر، ولا سيما رموز وأساطير التضحية والفداء وبعض رموز الغدر والخيانة على مر مراحل التاريخ، ومن خلالها نقد الشاعر الواقع المعاصر بكل توجهاته وثقافاته المختلفة.
- للهوية الثقافية تأثير فاعل في وسم الأفعال والممارسات التي تتجسد داخل المنظومة المجتمعية على هيئة ولاءات وقيم وانتماءات مختلفة ترسم ثقافة الشاعر ومدى انتمائه إلى أرضه ووطنه، فتجسد هذا الأمر في شعر حوامدة سلوكاً ثقافياً كان له الأثر الفاعل في صياغة تجربة الشعرية.

- شغل نسق الانتماء مساحة واسعة في شعر حوامدة، فقد عبر بصدق عن انتمائه إلى وطنه وحرصه عليه على الرغم من أنه خارج أرضه، ولكن حبه لوطنه مزروع في وجدانه لا يتغير، فشكل نسقاً ثقافياً مهماً، وتجلى نسق الانتماء للمدينة الأثر الفاعل في شعره ، وأثرها في صياغة الهوية المجتمعية وبيان مدى انتمائه .

- كانت تجليات الغربة والابتعاد القسري وإحساسه بالضياع أثرها في تشظي الهوية المجتمعية، فكان الإحساس بعدم الأمان في ظل تناقضات المجتمع وابتعاده عن أرضه وسيطرت هاجس الضياع، فعاش بتناقضات شتى بين الانتماء وعدمه، بسبب ضياع الهوية الوطنية والقومية.

هوامش البحث:

* هو موسى محمد حسين بن حسين جابر الحوامدة ، من مواليد قرية السموع جنوب مدينة الخليل في ١٩٥٩/٢/٢٥م، درس الإعدادية في مدرسة السموع والثانوية في مدارس الخليل، وقد تم اعتقل أكثر من مرة من الجيش الإسرائيلي، واعترف أحد الضباط الإسرائيليين في جريدة سويدية أنَّهُ كانَ السبب في إبعاده عن مدينة الخليل، وفي عام ١٩٧٧ شدَّ الرحال إلى الأردن للدراسة في الجامعة الأردنية في كلية الآداب.سجن لأسباب سياسية في الأردن عام ١٩٧٩، وفصل من الجامعة لمدة عام واحد، ثم عاد وأكمل دراسته بقرار من المحكمة العليا، إذ حصل في عام ١٩٨٢ على بكالوريوس في اللغة العربية من الجامعة الأردنية، لكنه ظلَّ ممنوعاً من العمل والسفر حتى عام ١٩٨٩ .

[١] دليل الناقد الأدبي،د. ميجان الرويلي وسعد البازعي ، ص٨١

[٢] ينظر لسان العرب، لابن منظور: ١٢٧/٤ (مادة نسق).

[٣] ينظر: مقاييس اللغة ،لابن فارس: مادة (نسق) :٣٩٥ و المحكم لابن سيده :٦/ ٢٣٩

[٤] ينظر: موسوعة لالاند الفلسفية أندريه لالاند ترجمة : خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت لبنان ،٢٠٠١ م. : ١٤١٧

[٥] ينظر: السرد العربي القديم ، الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل ،د. ضياء الكعبي،ط١ ، ٢٠٠٥ : ٢١

[٦] ينظر النقد الثقافي ، عبدالله الغذامي: ٨٢ .

[٧] ينظر : م.ن: ٧٦

[٨] النقد الثقافي، الغذامي٨٢ . .

[٩] القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون: ١٤١ .

[١٠] ينظر: العلم والدين في الإسلام، عبد العال العبدوني: ٣ .

[١١] ينظر: تأويل الثقافات ، كليفورد غيرتس ، ترجمة ، محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٩ : ٣١٨

[١٢] أسفار موسى–العهد الأخير، موسى حوامدة: ١٠٠ .

[١٣] ينظر: خطاب الآخر في الشعر السبعيني التلقي والتأويل،د. علي هاشم الزريجاوي،دار البصائر العراق، ط١ ، ٢٠١٥ :٣٤١ .،

[١٤] الخطيئة والتكفير، عبدالله الغذامي: ١١٣ –١١٤ .

[١٥] من جهة البحر : ٩٠

[١٦] معجم الموتيفات المركزية في شعر محمود درويش، حسين حمزة، مجمع اللغة العربية، حيفا، ط١ ، ٢٠١٢ :٢٢ .

[١٧] ديوان (سلالتي الريح .. عنواني المطر): ٣١

١٨ ينظر: البنيات الدالة في شعر موسى حوامدة: ٧١ .

[١٩] شجري أعلى : ٣٧ .

[٢٠] سورة يوسف ، الآية:١٧

[٢١] أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، حسن مطلب المجالي، أطروحة دكتوراة ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩ :١٧٣ .

[٢٢] شجري أعلى : ٣١ .

[23] اثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث: ١٠١ .

[٢٤] مواقد الشعر تأملات في الخطاب الشعري العربي المعاصر،عباس عبدالحليم عباس، الأكاديميون للنشر والتوزيع، الجامعة العربية المفتوحة ، عمان، ٢٠١٣ م. : ٥٩

[٢٥] ديوان من جهة البحر: ٥٨ .

[٢٦] سورة الكهف: ١٩

[٢٧] الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي (شعراء الحواضر انموذجا)،بيداء ناصر زيارة، رسالة ماجستير كلية الآداب الجامعة المستنصرية، ٢٠١٣ : ٥٩ .

[٢٨] حياتي في الشعر، صلاح عبدالصبور، دار العودة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٦٩ : ١١٣ .

[٢٩] لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٢ : ٤٠ .

[٣٠] الشعر والتلقي ، منبر الحلاق، دار الشروق عمان، ط١، ١٩٩٧ ، ١٣٦ .

[٣١] ديوان سلاتي الريح: ٥٥

[٣٢] م.ن: ٥٦ .

[٣٣] سوسيولوجيا الثقافة والمفاهيم والإشكاليات من الحداثة الى العولمة، د. عبدالغني عماد، مركزدراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ : ١٣٧ .

[٣٤] ديوان جسد للبحر: ١١١ .

[٣٥] ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية، علي عشري زايد، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط١ ، ١٩٩٧ : ٢٦٢ .

[٣٦] ديوان موتى يجرون السماء: ٤٧ .

[٣٧] بلاغة التزوير وفاعلية الأخبار في السرد العربي القديم:د. لؤي حمزة عباس ٦.

[٣٨] ديوان أسفار موسى العهد الأخير: ٣١.

[٣٩] سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكالات من الحداثة إلى العولمة،د. عبدالغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ : ١٣٧ .

[٤٠] ديوان سلالتي وعنواني المطر : ٨٢ .

[٤١] الأنساق الثقافية في شعر أديب كمال الدين، نور رحيم حنيوي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية جامعة المثنى: ٤٢

[٤٢] حمودة ، عبد العزيز : الخروج من التيه : ٢٦٢

[٤٣] الأسطورة في المسرح نماذج من عروض المسرح المعاصر، أمجد زهير عبد الحسين، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢ :٢٠ .

[٤٤] موتى يجرون السماء: ١٩

[٤٥] ديوان سلالتي الريح: ٥٤ .

[٤٦] ديوان جسد للبحر –رداء القصيدة: ٢٣ .

[٤٧] ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الوراق لندن، ٢٠٠٩ ، ١٩٤ .

[٤٨] ينظر: دراسات في النقد الأدبي، أحمد كمال زكي، مكتبة لبنان، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١ : ٨٧ .

[٤٩] الحيوان ، لابي عمرو الجاحظ: ٤٣١/٢

[٥٠] ديوان تجبر: ٦١ .

[٥١] سورة المائدة الاية :٣١

[٥٢] حوار الحضارت حوار هويات ثقافية، كاري نادية أميرة، مجلة الإنسان والمجتمع، ع٣ جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١١ : ٢٣٤ .

[53] الهوية مفهوم في طور التشكيل، محمود أمين، :٣٧٦.

[٥٤] الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٩٨ : ١٤ .

[٥٥] أزمة المواطنة في شعر الجواهري، فرحان اليحيى : ٣٨ .

[٥٦] ديوان جسد للبحر .. رداء للقصيدة: ١١٢ .

[٥٧] جماليات النقد الثقافي نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي، د. أحمد جمال المرازيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ط١ ، ٢٠٠٩ : ٨٠ .

[٥٨] المدينة في الشعر العربي، إبراهيم رماني، الجزائر أنموذجا_١٩٢٥-١٩٦٢ ،الهيئة العامة للكتاب ، مصر، ط١، ١٩٩٧ :٢٠٥ .

[٥٩] ديوان شغب: ٣١

[٦٠] ديوان موتى يجرون السماء: ١٤.

[٦١] المدينة في الشعر العربي : ٥٠ .

[٦٢] الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوبة، عز الدين إسماعيل : ٣٧٢

[٦٣] ديوان جسد لببحر.. رداء للقصيدة: ٣١ . .

[٦٤] اللغة والهوية: قومية، دينية، إثنية، جون جوزيف، ترجمة عبدالنور خرافي، مجلة عالم المعرفة، ع ٣٤٢ آب: ٢٠٠٧ : ٧ .

[٦٥] الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(١٩٤٥-١٩٦٢) عمر بوقرور منشورات :١٣ .

[٦٦] جسد للبحر.. رداء للقصيدة: ١٠

[٦٧] شجري أعلى: ٥٣ .

[٦٨] ينظر: الأنساق الثقافية في شعر أديب كمال الدين، نور رحيم حينوي(رسالة ماجستير)، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، ٢٠١٨ : ١٢٤ .

[٦٩] ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، د. علي عبد الخالق علي ، مجلة قطر ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، ع٧ :١٩٩٥ : ٩٧ .

ثبت المصادر والمراجع:

- أثر القصة القرآنية في الشعر العربي الحديث، حسن مطلب المجالي، أطروحة دكتوراة ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩م.
- أزمة المواطنة في شعر الجواهري(دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي)، فرحان اليحيى، اتحاد الكتاب العرب، ط١، دمشق، ٢٠٠١ م.
- استدعاء الشخصيات التراثية، علي عشري زايد، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط١ ، ١٩٩٧م.
- الأسطورة في المسرح نماذج من عروض المسرح المعاصر، أمجد زهير عبد الحسين، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠١٢
- الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، ١٩٩٨م.
- الأنساق الثقافية في شعر أديب كمال الدين، نور رحيم حنيوي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية جامعة المثنى:٢٠١٨ م.
- الأنساق الثقافية في الشعر الجاهلي (شعراء الحواضر أنموذجا)،بيداء ناصر زيارة، رسالة ماجستير كلية الاداب الجامعة المستنصرية،
- بلاغة التزوير: فاعلية الإخبار في السرد العربي القديم، لؤي حمزة عباس، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.
- البنيات الدالة في شعر موسى حوامدة، عبدالخالق فرحان الخاتوني(رسالة ماجستير) كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة الموصل،٢٠١٣
- تأويل الثقافات ، كليفورد غيرتس ، ترجمة ، محمد بدوي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٩
- جماليات النقد الثقافي نحو رؤية للأنساق الثقافية في الشعر الأندلسي، د. أحمد جمال المرازيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،
- حوار الحضارت حوار هويات ثقافية، كاري نادية أميرة، مجلة الإنسان والمجتمع، ع٣ جامعة تلمسان، الجزائر، ٢٠١١
- حياتي في الشعر، صلاح عبدالصبور، دار العودة ، بيروت ،ط١ ، ١٩٦٩
- الحيوان – أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده – مصر، الطبعة الأولى ١٩٣٨.
- خطاب الآخر في الشعر السبعيني التلقي والتأويل، د. علي هاشم الزريجاوي، دار البصائر العراق، ط١ ، ٢٠١٥
- الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية، نظرية وتطبيق، عبدالله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، المغرب، ط٦، ٢٠٠٦ م.

- الخروج من التيه دراسة في سلطة النص، د. عبدالعزيز حمودة، عالم المعرفة، الكويت ، ط١، ٢٠٠٧ م.
- دراسات في النقد الأدبي، أحمد كمال زكي، مكتبة لبنان، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩١
- دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢ م.
- السرد العربي القديم ، الانساق الثقافية واشكاليات التأويل ،د. ضياء الكعبي،ط١ ، ٢٠٠٥
- سوسيولوجيا الثقافة والمفاهيم والاشكاليات من الحداثة الى العولمة، د. عبدالغني عماد، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ،
- الشعر والتلقي ، منبر الحلاق، دار الشروق عمان، ط١، ١٩٩٧م.
- الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية و المعنوبة، عز الدين إسماعيل، ، دار العودة ودار الثقافة، بيروت ط٣، ١٩٨١ م.
- ظاهرة الاغتراب وصداها في الشعر المعاصر بمنطقة الخليج، د. علي عبد الخالق علي ، مجلة قطر ، مركز الوثائق والدراسات الإنسانية،
- الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث(١٩٤٥-١٩٦٢) عمر بوقرور (رسالة ماجستير)منشورات جامعة القاهرة، ١٩٨٧ م.
- لسان العرب، لابن منظور (٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣ ، ١٩٩٣ م.
- لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، السعيد الورقي ، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.
- اللغة والهوية: قومية، دينية ، إثنية، جون جوزيف، ترجمة عبدالنور خرافي، مجلة عالم المعرفة، ع ٣٤٢ آب: ٢٠٠٧م.
- المحكم والمحيط الاعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده(ت ٤٥٨ هـ) تحيق د. عبد الحميد الهنداوي، منشورات محمد علي بيضون ،دار الكتب العلمية بيروت،ط١ ، ٢٠٠م .
- المدينة في الشعر العربي، ابراهيم رماني، الجزائر انموذجا_١٩٢٥-١٩٦٢ ،الهيئة العامة للكتاب ، مصر، ط١، ١٩٩٧
- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت٣٩٢هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م
- معجم الموتيفات المركزية في شعر محمود درويش، حسين حمزة، مجمع اللغة العربية، حيفا، ط١ ، ٢٠١٢م.
- ملحمة كلكامش، طه باقر، دار الوراق لندن، ٢٠٠٩م.
- مواقد الشعر تأملات في الخطاب الشعري العربي المعاصر، عباس عبدالحليم عباس، الاكاديميون للنشر والتوزيع، الجامعة العربية المفتوحة ، عمان، ٢٠١٣ م
- موسوعة لالاند الفلسفية أندريه لالاند ترجمة : خليل أحمد خليل، منشورات عويدات ، بيروت لبنان ،٢٠٠١ م.
- الهوية مفهوم في طور التشكيل، محمود أمين، مؤتمر العولمة والهوية الثقافية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، رقم ٧ ،القاهرة المجلس الاعلى لثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، أبريل ، ١٩٩٨ م.